جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا الشرعية
فرع الفقه والأصول

تحقيق ودراسة القسم الخامس من كتاب

فتح العزيز شرح الوجيز

للإمام أبي القاسم عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم الرافعي (٥٥٥هـ - ٦٢٣هـ)

ويبدأ من أول كتاب الفرائض إلى أول كتاب الصداق

رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الفقه
من قسم الدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى

إشراف
الأستاذ الدكتور / محمد حسني إبراهيم سليم
إعداد
الطالب / حمد بن سليمان بن حمد الحبلين

(الجزء الأول)

١٤١٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــــة

الحمـد لله، نحمده ونستـعينه ونستـغفره، ونعوذ بالـله من شرور أنفسنا وسيـئات أعمالنا، من يهده الله فلا مـضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ[1] أما بعد:

فقد منّ الله على أمـتنا بأن أرسل لنا رسولَه محمداً ﷺ فـأنزل عليه القرآن العظيم الذي تكفل بحفظه بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[2] وأمره بنشره وعهد إليه ﷺ ببيانه وشـرح معانيه وتقييـد مطلقه وتفصيل مجمله، فقـام ـ عليه الســلام ـ بهذه المهمة خـير قيام، فدلنا على كل خيـر، ونهانا عن كل شر، وتركنا على المحجة البـيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وندبنا إلى التفقّه في الدين وتحـمّلِ الأمانةِ والقيامِ بها، فقام الـصحابة رضوان الله عليهم بذلك خير قيام، ثم مِنْ بعدهم التابعون وتابعوهم، إلى أن ظهرت الفتن، وكثرت الأحـداث، وتجرأ النـاس على الكذب في دين الله حـبـاً لدنياهم وطـمعـاً في الرفـعـة والجـاه، حيث قيّض الله لدينه رجالاً في كل عصر كافحوا دونه، وقاموا بأمره، ونشطوا في تجـميـعه وتمحـيصـه وتدوينه وتحـريره، فجـعلوا النـاس فيـه على طريقـة واضـحـة مستقيمـة، وتوالت جهودهم على مرّ القرون، فكان هذا الكم الهائل المبارك من مؤلفاتهم في كل فن من فنون هذه الشريعة الغراء.

وكان من بين هذه المؤلفات ما قام به الإمـام أبو القاسم الرافعي ـ رحمه الله ـ في كتابه: «فـتح العزيز شرح الوجيـز» تلك الموسوعة الفقـهية الشاملة، والعـجب من كونه

---

(١) جزء من خطبة الحاجة انظر: ص ١٥٩٦من هذا التحقيق.

(٢) الحجر: آية (٩).

مخطوطاً إلى يومنا هذا مع أنه عمدة عند المتأخرين من فقهاء الشافعية وعليه المعوّل عندهم.

ولما قيّض الله في هذه الجامعة المباركة ـ وفقها الله ـ من يطرح هذا الكتاب للتحقيق والظهور، سارعتُ في طلب الاشتراك ونيل الشرف في انتسابي إلى تحقيقه بعد أن منّ الله عليّ بالقبول في قسم الدراسات العليا الشرعية فرع الفقه وأصوله، فتقدمت بطلب الاشتراك في تحقيق القسم الخامس منه ـ حسب توزيع مجلس الكلية له ـ والذي يبدأ من كتاب الفرائض وينتهي بأول كتاب الصداق من النكاح، فتمّت الموافقة ولله الحمد.

ومن توفيق الله أن يكون مؤلف هذا الكتاب إماماً كبيراً، له اليد البيضاء في هذا الفن، عمدة فيه، إذ اتفق المتأخرون من الشافعية على أن القول المعتمد للحكم والفتوى هو ما اتفق عليه هو والإمام النووي ثم ما جزم به النووي، ثم ما جزم به هو عليهما رحمة الله.

ومن توفيقه ـ تعالى ـ أن يكون الكتاب المطروح للتحقيق هو «فتح العزيز شرح الوجيز» تلك الموسوعة الفقهية الشاملة، حيث لم يشرح الوجيز بمثله، ولا يوجد في بابه من الكتب السابقات ند له، فعليه اعتماد المفتين والحكام والدارسين في الدنيا، وفيه دقائق المذهب وغوامضه، مع حسن ترتيبه وتنظيمه، والدقة والتحري والعمق في مادته ومصطلحاته، مع تحسين ذلك كله بسلامة أسلوبه ووضوح عبارته.

أما ما أخذ عليه فيه وهو أنه شحنه بكثير من الأحاديث والآثار الضعيفة والواهية بل والموضوعة والمنكرة من غير بيان منه لحالها مع أنه أهل وإمام ومقدم في هذا الفن، فقصده بذلك ـ والله أعلم ـ ألا يغفل الناس النظر في كل علم في مظانه، ثم إنَّ ذلك لم يقع له وحده بل على هذا أكثر الذين صنّفوا في الكتب الفقهية أو التفاسير أو السِّير أو التاريخ.

ومن توفيقه ـ تعالى ـ أيضاً أن كانت مادة القسم الذي شاركت فيه مناسبةً

لـي، فاستعـدادي لها كان في موضعه، وتفـاعلي معها كان في مرتعـه، مع سبق تجربتي للبحث في دراستي السابقة، وتشوفي للتحقيق؛ طمعاً في الجمع بينهما ورغبة في الإسهام في إبراز تراث سلفنا الصالـح، فقمت بتحـقيق هذا القسم من الكتـاب، كي تُفتّح أبوابه وتضاء أنوارُه ويُخرَجَ من حشره بطبعه فنشره، فقد ظل فيه أكثر من ٧٩٤ سنة.

خطة العمل في هذا التحقيق

إن خطة أي عمل ما تعني: رسم صورة متكاملة عنه، تتضح فيها عناصره وخطوطه الرئيسة؛ لإمكان معالجة الموضوع ودراسته بطريقة هادئة وتفكير منظم، كما أنها تعطي تصوراً شاملاً للموضوع وتأمله ذهنياً قبل البدء بالعمل؛ لإمكان نقده وفحصه شكلاً ومضموناً، وتوجيه نتيجة كل عنصر منه إلى النهاية المنطقية المنشودة التي مهّدت لها الدراسات السابقة.

لذلك تطلب مني العمل في هذا التحقيق أن أجعله على قسمين: قسم للدراسة وقسم للتحقيق.

أما قسم الدراسة فقد اشتمل على مقدمة وثلاثة فصول.

فالمقدمة: ذكرت فيها تكفّل الله ـ سبحانه ـ بحفظ كتابه وسنة رسوله ﷺ وجهود العلماء في هذا المجال، مع ذكر منزلة الإمام الرافعي ـ رحمه الله ـ وأهمية كتابه، والرد على ما أخذ عليه فيه، وسبب اختياري لهذا القسم من التحقيق، ثم هذه الخطة.

أما الفصل الأول: فهو في التعريف بالإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ وبـ «كتابه الوجيز» وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في التعريف بالإمام الغزالي (شخصيته وعلمه):

١ ـ اسمه ولقبه وكنيته ونسبته. ٢ ـ ولادته ونشأته ورحلاته. ٣ ـ عزلته.

٤ ـ بعض شيوخه وتلامذته وأقرانه. ٥ ـ مكانته والمناصب التي تقلّدها.

٦ ـ مؤلفاته. ٧ ـ وفاته.

المبحث الثاني: في التعريف بـ «الوجيز»:

١ ـ اسم الكتاب ونسبته إليه. ٢ ـ مصادر الكتاب. ٣ ـ أثره وأهميته.

٤ ـ شروحه ومختصراته. ٥ ـ منهجه ومصطلحاته.

وأما الفصل الثاني: فهو في التعريف بالإمام الرافعي ـ رحمه الله ـ (شخصيته وعلمه) وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في حياة الإمام الرافعي، وفيه أربعة مطالب:

الأول : اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

الثاني : في ولادته.

الثالث: في صفاته وأخلاقه.

الرابع : في وفاته.

المبحث الثاني: في حياته العلمية وفيه ستة مطالب:

الأول: في شيوخه وتلاميذه.

الثاني: في قراباته.

الثالث: في العلوم التي اشتهر فيها.

الرابع: في ثناء العلماء عليه.

الخامس: في عقيدته

السادس: في تصانيفه.

المبحث الثالث: في الحالة السياسية في عصره، وفيه مطلبان:

الأول: الدول والممالك حول قزوين في عصره.

الثاني: في بعض الأحداث التي مرت بها قزوين في عصره.

وأما الفصل الثالث: فهو في دراسة القسم المحقق من الكتاب وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في التعريف بالكتاب وفيه ستة مطالب:

الأول: اسمه، وسبب تسميته، ومتى كُتِب؟ ونسبته إلى مؤلفه.

الثاني: في موضوعه وسبب تأليفه. **الثالث: في أهميته.**

الرابع: في شروحه ومختصراته.

الخامس: في شهرته وثناء الناس عليه.

السادس: في مصادر المؤلف فيه.

المبحث الثاني : في منهجه ومصطلحاته ونسخه، وفيه ثلاثة مطالب:

الأول : في منهج المؤلف في كتابه.

الثاني : في مصطلحاته فيه.

الثالث: في نُسَخِهِ ووصفِها.

وأما قسم التحقيق:

فقد تناولت فيه تحقيق قسم من كتاب «فتح العزيز شرح الوجيز» وهو: من أول كتاب الفرائض حتى أول كتاب الصداق ويحوي ما يلي:

١ ـ كتاب الفرائض.

٢ ـ كتاب الوصايا.

٣ ـ كتاب الوديعة.

٤ ـ كتاب قسم الفيء والغنيمة.

٥ ـ كتاب قسم الصدقات.

٦ ـ باب صدقة التطوع.

٧ ـ كتاب النكاح، حتى أول كتاب الصداق.

وكان منهجي في هذا التحقيق كالتالي:

١ ـ لضبط النص، التزمت بتدوين العبارة الصحيحة أو الراجحة بصلب المتن، ولم أتقيد بنسخة معينة، ثم أثبت المقابل في الهامش إن استحق الإثبات، وما لاجدوى له لم أثبته، مراعياً في ذلك كله أصول الكتابة الحديثة وعلامات الترقيم، فاجتهدت في ضبط النص ما وَسِعنَي الجهد والقدرة بعد التثبت الكامل منه وعرضه على كل النسخ، وإن لم تكن العبارة واضحة في النسخ، أثبت ما يناسب ذلك الموضع في الصلب مع الإشارة

في الهامش إلى ذلك مستشهداً لما أثبته فيه من مراجع الفقه أو اللغة لترجيح ما اخترته من النسخ، وخاصة إن كان في سياق نقله عن آخرين ووقفت على ذلك المنقول.

إذا حصل سقط من بعض النسخ جعلت موضعه في النص بين قوسين هكذا:( ) وأشرت بالهامش إلى ذلك، وإن تداخل أكثر من سقط من نسخ متعددة جعلتها في أقواس مخالفة ورسمتها بالهامش كذلك.

إذا حصل زيادة حرف أو كلمة أو جملة في بعض النسخ بيّنت موضعها في الهامش داخل الخطين العموديين المتقابلين هكذا: . . . . . / الزيادة / . . . . . ولم أغفل مقارنة جميع النسخ مع كتاب الوجيز وروضة الطالبين مطلقاً.

تنزيه الله ـ سبحانه ـ والصلاة على النبي ﷺ والترضي والترحم على الصحابة والتابعين والعلماء أثبت كل ذلك وإن لم يكن موجوداً في الأصل؛ لأن هذا دعاء وليس برواية[1].

٢ ـ عزوت الآيات القرآنية الكريمة، بذكر اسم السورة ورقم الآية مع الإحالة إلى كتب التفسير إن احتاجت إلى تعليق.

٣ ـ أما الأحاديث والآثار فسأذكر[2] أن ممن خرّجها وبيّن أحكامها ورتّبها على كتب وأبواب هذا الكتاب هو الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في كتابه تلخيص الحبير، ولذلك اعتمد على متابعته فيهما، فوثقتها من المصادر التي عزا إليها الحافظ مبيناً الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث أو الأثر، أو ما توافر من هذه المعلومات في تلك المصادر، ولم أدع من ذلك سوى المصادر التي لم تتوفر بين يدي حينئذ أو التي لم أقف على الحديث فيها، إلا إن ذكر أنه متفق عليه فأكتفي بذلك، أو أسهب في ذكر الطرق فأكتفي ببعضها، وقد أنقل لفظ الحديث أو الحكم من مثل الترمذي أو الحاكم ـ عليهما

---

(١) انظر : المجموع ٦/ ١٧٢.

(٢) انظر : ص٧٥.

رحمة الله ـ وإن لم يذكره الحافظ، ثم أختم متابعتي له بقولي: انظر: تلخيص الحبير فأذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة، وأُتبِعهُ بذكر مواضع أخرى لهذه الأحاديث أو الآثار؛ زيادة ودِلالة وتوضيحاً لمواضعها.

أما الأحاديث التي أستشهدُ بها لبعض المسائل فقد خرّجتهامن بعض المصادر الحديثية، وحرصت على بيان درجتها.

٤ ـ عند نقله للنصوص أو المذاهب أو الآراء، أتبين صحة نقله لذلك ثم أرشد إلى أماكنها التي اعتمد عليها المؤلف ما تيسر ذلك أو إلى كتبهم المعتمدة، ثم إن لم يذكر الإمام الرافعي ـ رحمه الله ـ التوجيه لهم، نقلته عنهم إن وقفت عليه، وإن لم استطع الوقوف على مواضع آرائهم ـ وهذا قليل ولله الحمد ـ تركت الإشارة إليه.

كما أوضح محل النزاع في المسائل الخلافية إن رأيتهُ غامضاً، وقد أوردتُ في أول الفرائض مزيداً من الأدلة لبعض المسائل ــ للموافق أو المخالف ــ وأجبت عنها وناقشتها، ثم تركت ذلك خشية الإطالة.

٥ ـ عزوت الأشعار إلى أصحابها وبيّنت مكان وجودها ما تيسر ذلك.

٦ ـ عرّفت بالكتب الواردة فيما حققته وبأماكن وجودها.

٧ ـ ترجمت للأعلام الواردة ترجمة قائمة على الإيجاز، بذكر اسمه ثم ولادته، فنشأته وثقافته ومناصبه وأخلاقه أو بعض ذلك، ثم شيوخه وتلاميذه وتصانيفه (أذكرُ اثنين منها غالباً) ثم وفاته وأحيل إلى كتب الفن للمترجَم له إن كان من الفقهاءأو المفسرين أو النحويين أو غيرهم، وكل ذلك في الغالب؛ حيث إن المادة الموجودة لكل ترجمة ـ كما لا يخفى ـ تختلف عن الترجمة الأخرى حسب طبيعة المترجم له ومكانته العلمية.

ولم أترجم للمشهورين كالخلفاء وأئمة المذاهب سوى الخليفة الراشد عثمان والإمام الشافعي ـ رضي الله عنهما ـ لحاجة سياق النص لذلك في موضعه، وذلك كله في القسم

المحقق[1].

٨ ـ شرحتُ الألفاظ الغريبة والمصطلحات الواردة.

٩ ـ عرّفتُ بالبلدان والأماكن والفِرَق والطوائف الواردة، وتركت المشهور منها.

١٠ ـ جعلت نص الوجيز مع عناوين المسائل باللون الأسود الداكن، وكذا عند التقسيم للأقوال والأوجه ونحوها، تسهيلاً للوصول إليها.

١١ ـ أضفتُ نصّ لفظة (الشرح) من عندي بعد نص الوجيز مباشرة، إعلاماً ببداية شرحه لهذا النص؛ لأنه قد يَذْكُرُ نصاً أو نصوصاً للاستشهاد بها أو التعليق عليها، ثم رأيت في نسخة (و) ذكره لهذه اللفظة بعد كل نص، ولكنها بالهامش.

١٢ ـ كثيراً ما يحيل الإمام الرافعي ـ رحمه الله ـ على مسائل مرّت أو ستأتي، فإن كان ما أحال عليه موجوداً في ما أُحقّقه من هذا الشرح أشرت إلى موضعه منه بالصفحة، وإن لم يكن موجوداً، أنقله باختصار من مواضعه وأشير إليه.

١٣ ـ عندما أذكر في الهامش جملة من المصادر أو المراجع، فإنني أعني بذلك مواضع هذه المسألة أو القول أو الوجه ومظانها فيها، أما ترتيبي لها فهو حسب الأقدمية في التاريخ لا غير، وكذا لو نقلت نقولاً عنها، وقد أؤخر ما حقه التقديم في التاريخ إن كان النقل منه، موضحاً ذلك بقولي: وقال فيه: «...».

١٤ ـ وضعت بعض مسائل الفرائض في شِباك؛ تسهيلاً وسرعة في فهمها.

١٥ ـ أوضحت المسائل الحسابية والجبرية في الفرائض والدوريات من الوصايا وغيرها بوضعها على شكل كسور اعتيادية ومعادلات جبرية؛ لأمور منها: أن الإمام الرافعي ـ رحمه الله ـ قد يسقط بعض العمليات بناء على أنها مفهومة فيظهر النتيجة للمسائل مع اختصاره لبعض العمليات مما يوهم أنه أخطأ وليس كذلك، ومنها: أنه قد

---

(١) أما الأعلام في القسم الدراسي فترجمت لأغلبهم ترجمة مختصرة، وقد أكتفي بذكر وفاته، وإن لم أجده تركت الإشارة إليه.

يسقط فعلاً منه أو من النساخ بعض الأرقام أو الكسور فبتفصيلها بالكسور يتضح ذلك جلياً، ومنها: أن لغة الأرقام قد تكون أسهل لمن اعتادها وارتاض عليها من القراءة، وغيرها من الفوائد التي سيقف عليها الباحث عند غوصه فيها.

١٦ ـ قمت بوضع فهارس تفصيلية، خدمة لما حققته وتسهيلاً على الباحثين وهي تشمل:

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية.

٣ ـ فهرس الآثار.

٤ ـ فهرس الأعلام.

٥ ـ فهرس الكلمات الغريبة.

٦ ـ فهرس الملقبات في الفرائض.

٧ ـ فهرس الأماكن والبلدان.

٨ ـ فهرس الأشعار

٩ ـ فهرس الفرق والطوائف .

١٠ ـ فهرس الكتب التي أوردها الإمام الرافعي ـ رحمه الله.

١١ ـ فهرس المراجع المخطوطة والمطبوعة.

١٢ ـ فهرس الموضوعات.

١٣ ـ فهرس الفهارس.

وهناك بعض الصعوبات التي واجهتني أثناء التحقيق، وهي ليست بكثيرة ولله الحمد فمنها:

١ ـ وجود بعض الأحاديث والآثار التي لم أستطع العثور عليها.

٢ ـ قراءة بعض الكلمات.

٣ ـ ترجمة الألفاظ الفارسية التي ذكرها الإمام الرافعي ـ رحمه الله ـ حيث تم عن طريق بعض الإخوة المقيمين بعد تكرارها على أكثر من واحد منهم.

٤ ـ كتابة الكسور الاعتيادية على الأجهزة الحديثة.

وقد استخدمت بعض الرموز رغبة في الاختصار، وقد لا ألتزم بها وهي:

١ ـ لفظ الحافظ، أعني به الإمام ابن حجر رحمه الله.

٢ ـ أعني بقولي: جـ كذا ورقة كذا في المخطوطات المساعدة، جزء كذا منها، والورقة: أي وجهها وظهر ما قبلها؛ لأن غالب ما عندي كان كذلك.

٣ ـ اختصرت بعض أسماء الكتب أو الدلالة عليها إن كانت مطبوعة مع أخرى فمثلاً:

المهذب مع المجموع، أقول: المهذب.

وطبقات الشافعية الكبرى أقول: السبكي.

وطبقات الشافعية للأسنوي أقول: الأسنوي.

ومختصر المزني مع الأم أقول: المختصر.

وطبقات ابن قاضي شهبة أقول: ابن قاضي شهبة.

والمغني مع الشرح الكبير أقول: المغني.

والهداية مع شرح فتح القدير أقول: الهداية.

وغيرها مما سيتضح في فهرس المصادر والمراجع إن شاء الله.

٤ ـ استعملت بعض الحروف في الدوريات من الوصايا اختصاراً للكتابة وهي تعني ما

يلي:

م: مال، و: وصية، ت: تكملة ق: مقدار، س: سهم، ش: شيء، ن: نصيب، خ: خطأ، ج: جذر.

ثم أما بعـــــــــــــــــد:

فهذا ما عملته في تحقيق هذا القسم من الكتاب، فإن حالفني الصواب فيما سعيت، ووصلت إلى ما ابتغيت، فذلك بفضل الله ـ تعالى ـ وجوده علي، وما كان من خطأ فيه فمني ومن الشيطان، وأسأل الله الغفَّار الصفح وأن يوفقني لخدمة شرعه وإحياء تراثنا الإسلامي، وأن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم، كما أسأله أن يرحم والدينا ومشايخنا ومن له الحق علينا، وكل من ساعدني في إخراج هذا الكتاب، وأخص منهم شيخنا الفاضل الدكتور محمد حسني إبراهيم سليم، مشرفي على هذا التحقيق الذي لم يأل جهداً في توجيهي وإرشادي إلى الصواب في كل وقت، ففتح لي واسع أبوابه حتى لمست قربه لي، وحرصه على مصلحتي، وتشجيعي بعباراته الأبوية الحانية بما لم أجده طيلة دراستي.

وأشكر الشيخين الفاضلين اللذين وُكِلَ إليهما مناقشة هذا التحقيق على استجابتهم لذلك وعلى ما قاما به من توجيه أو تمحيص لهذا العمل فجزاهما الله خيراً على ذلك.

كما وأشكر جامعة أم القرى، ممثلة في كلية الشريعة والقائمين على قسم الدراسات العليا الشرعية؛ لما بذلوا ويبذلون من جهود جبارة لمستها خدمة للعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أولاً:

القســـــــــم الدراســـــــــي

وفيه ثلاثة فصول:

الفصـــل الأول : في التعريف بالإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ وبكتابه «الوجيز».

الفصل الثـــاني : في التعريف بالإمام الرافعي ـ رحمه الله ـ (شخصيته وعلمه).

الفصل الثالـــث : في دراسة القسم المحقق من الكتاب.

ويشتمل **الفصل الأول** على مبحثين:

المبحث الأول: في التعريف بالإمام الغزالي (شخصيته وعلمه)، ويشمل:

١ ـ اسمه ولقبه وكنيته ونسبته. ٢ ـ ولادته ونشأته ورحلاته.

٣ ـ عزلته. ٤ ـ بعض شيوخه وتلامذته وأقرانه. ٥ ـ مكانته والمناصب التي تقلّدها. ٦ ـ مؤلفاته. ٧ ـ وفاته.

المبحث الثاني: في التعريف بـ «الوجيز» ويشمل:

١ ـ اسم الكتاب ونسبته إليه. ٢ ـ مصادر الكتاب. ٣ ـ أثره وأهميته.

٤ ـ شروحه ومختصراته. ٥ ـ منهجه ومصطلحاته.

المبحث الأول

في التعريف بالإمام الغزالي (شخصيته وعلمه)

١ ـ اسمه ولقبه وكنيته ونسبته:

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد حجة الإسلام الغزالي[١]. فوالده محمد كان رجلاً صالحاً يحب العلم والعلماء، يغزل الصوف ويبيعه في دكانه كوالده، فهو مع فقره صالحاً لا يأكل إلا من كسب يده في عمل غزل الصوف.

ولُقِّب الغزالي بحجة الإسلام؛ لما منحه الله من ذكاء خارق وعلم نافع سخَّره للدفاع عن الإسلام والمسلمين[٢].

أما كنيته: فهي أبو حامد، ولا يوجد له ابن ـ والله أعلم ـ بهذا الاسم؛ لأن كتب التراجم تشير إلى أنه لم يعقب إلا بنات.

وأما نسبته: فإحداها: الغزالي؛ نسبة إلى والده وجده اللذين كانا يغزلان الصوف، أما الطوسي فنسبة إلى «طوس»[٣] المدينة التي ولد بها.

٢ ـ ولادته ونشأته ورحلاته:

ولد ـ رحمه الله ـ في «طوس» سنة ٤٥٠هـ، ونشأ في أسرة متوسطة الحال

---

(١) انظر: اللباب ٢/ ٣٧٩، وفيات الأعيان ٤/ ٢١٦، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢، العبر ٢/ ٣٨٧، السبكي ٦/ ١٩١، الأسنوي ٢/ ٢٤٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٥، ابن قاضي شهبة ١/ ٣٢٦، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٣، شذرات الذهب ٤/ ١٠، الأعلام ٧/ ٢٢.

(٢) السبكي ٦/ ١٩٣.

(٣) مدينة بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ، تشتمل على بلدتين، يقال لإحداهما : الطابران، والأخرى : نوقان، وبهما أكثر من ألف قرية وبها قبر الرشيد، وهي ثاني مدينة في خراسان بعد نيسابور (معجم البلدان ٤/ ٥٠، مراصد الاطلاع ٢/ ٨٩٦).

متمسكة بالإسلام، متوكلة على الله في رزقها بصناعة الغزل وكان والدُ الغزالي الصالحُ البكّاءُ كثير الدعاءِ بأن يجعل الله أحد أبنائه فقيها والآخر واعظاً، فاستجاب الله دعوته، وقد أوصى بهما قبل موته إلى صديق له متصوف من أهل الخير وقال له: لا عليك أن تنفق جميع ما أخلفه في تعليمهما.

وبعد ما مات أبوهما وهما صغيران تتبعهما الصوفي بمال أبيهما حتى انتهى، ثم طلب منهما الالتحاق بالمدرسة هناك ليحصل لهما ما يكفل حاجتهما من المأكل والملبس والمبيت، وكان الغزالي ـ رحمه الله ـ يحكي هذا ويقول: طلبنا العلم لغير الله فأبى الله أن يكون إلا لله.

أما رحلاته: فأولها في صباه سافر إلى «جُرجان»[1] في طلب الفقه من الإمام أبي نصر الإسماعيلي[2] فدوّن «تعليقة» عنه، ثم قفل إلى «طوس» فقُطع عليه الطريق وأُخذت هذه التعليقةُ منه، ثم التمس منهم أن يعيدوها إليه ففعلوا بعد ما علموا أنها لا تنفعهم بشيء، قال الغزالي: «فلما وافيت «طوس» أقبلت على الاشتغال ثلاثين سنة حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بحيث لو قطع علي الطريق لم أتجرد من علمي»[3].

ثم سافر إلى نيسابور ولازم إمام الحرمين، وجَدَّ واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والمنطق والفلسفة وغيرها، فجعله إمام الحرمين مساعداً له، يعيد الدرس على زملائه، وبعد وفاة إمام الحرمين خرج إلى «المعسكر»[4]

---

(١) بضم الجيم، وآخره نون، تقع في الإقليم الخامس، وهي مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان، وهي قطعتان، إحداهما المدينة، والأخرى بكرآباذ، وبينهما نهر كبير تجري فيه السفن، أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة (معجم البلدان ٢/ ١١٩، مراصد الاطلاع ١/ ٣٢٣).

(٢) انظر: السبكي ٦/ ١٩٥ ولم أقف على ترجمة له.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ميدان فسيح بجوار نيسابور، أقام فيه نظام الملك معسكره، وكان محط رحال العلماء ومقصد الأئمة (السبكي ٦/ ٢٠٥).

قاصداً الوزير نظام الملك[1]، فعظمه وبجّله وولاه تدريس مدرسته النظامية في بغداد، وطلب منه أن يتوجه إليها، فسافر إلى بغداد سنة ٤٨٤هـ ودرس بها فأعجب الخلق به حتى صار بعد إمامة خراسان إماماً للعراق، وبعد قتل الباطنية لنظام الملك سنة ٤٨٥هـ فقد الغزالي وأهل العلم عامة نصيراً عظيماً للعلم وأهله.

وبعد ثلاث سنوات من ذلك خرج في ذي الحجة من بغداد مظهراً العزم إلى مكة وكان قصده الشام فدخل دمشق في أول سنة ٤٨٩ هـ فاعتكف في مسجد دمشق مدة ثم ذهب إلى بيت المقدس ثم إلى الخليل ونذر فيها عند قبر الخليل عليه السلام ألا يقبل من أي سلطان أي مال وألا يذهب إلى السلام عليهم ولا يناظر أحداً أبداً ثم ذهب لأداء فريضة الحج والعمرة ثم عاد إلى دمشق ثانية، وجعل المنارة الغربية من الجامع الأموي محلاً لإقامته وتأليفه لمدة عشر سنين، فصنف «إحياء علوم الدين» وغيره، ثم سافر إلى مصر وتوجه منها إلى الإسكندرية وفي سفره إليهما شك واختلاف. وبعد تجواله في البلدان عاد إلى وطنه «طوس» ماراً ببغداد فلازم بيته اشتغالاً بالتفكر، ثم كُلِّف بالتدريس في نظامية نيسابور سنة ٤٩٩ هـ، فدرّس بها سنة كاملة ثم عاد إلى بيته بطوس وجعل في جواره مدرسة لطلب العلم وخانقاه للصوفية حتى مات.

٣ ـ ومرّت عليه في أثناء هذه المدة ـ من ٤٨٩ ـ ٤٩٩ ـ **عزلة** ترك فيها الدنيا وما فيها من جاه، وتحرر فيها عن رقّ الهوى والشهوات، وأقبل على الله زاهداً عابداً بعد أن غلبت عليه حشمة الأكابر والأمراء، وكان مبدأها تفكره في إخلاص نيته في التدريس فلما وجدها غير خالصة لله ـ تعالى ـ بل باعثها ومحركها طلب الجاه، اعتزل ليتلافى ما بنفسه

---

(١) هو الوزير أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس من أولاد الدهّاقين ولد سنة ٤٤٨هـ بنوقان، واشتغل بالفقه والحديث بالغ في إكرام العلماء وبنى المساجد والرُّبُط وهو أول من أنشأ المدارس، ومات في سنة ٤٨٦هـ (وفيات الأعيان ٢/١٢٨، السبكي ٤/٣٠٩).

من أحوال الدنيا حتى تخلص منها[1].

٤ ـ بعض شيوخه وتلامذته وأقرانه:

فمن شيوخه: أستاذه بطوس أحمد بن محمد الراذكاني الطوسي[2]، ثم أستاذه في جرجان أبو القاسم إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي[3]، ثم أستاذه بنيسابور إمام الحرمين فأخذ من هؤلاء الفقه وأصوله وغيرها، أما الحديث فأخذه عن أبي سهيل محمد ابن أحمد الحفصي المروزي[4]، والحاكم أبي الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي[5] وغيرهما، وأما التصوف فشيخه فيه هو الإمام أبو علي الفضل بن محمد علي الفارمذي الطوسي[6].

---

(١) انظر: وفيات الأعيان ٤/ ٢١٧، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢، السبكي ٦/ ١٩٦، الأسنوي ٢/ ٢٤٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٥، ١٨٦، ابن قاضي شهبة ١/ ٣٢٧، شذرات الذهب ٤/ ١١، ١٢.

(٢) هو أبو حامد، كان ممّن قرأ الغزالي عليه، و**راذُكان**، قرية من قرى طوس (هكذا في الأسنوي ١/ ٥٨٤).

(٣) الإمام المفتي، الرئيس، ولد سنة ٤٠٧هـ، كان صدراً، معظماً، واعظاً، بليغاً، سمع أباه وعمّه الفضل وغيرهما، وعنه : زاهر الشَّحَّامي وأخوه وجيه وغيرهما،ومات بجرجان سنة ٤٧٧هـ. (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٦٤، شذرات الذهب ٣/ ٣٥٤).

(٤) الشيخ المسند، راوي صحيح البخاري عن أبي الهيثم الكشميهيني، وحدث به بمرو ونيسابور، وكان رجلاً مباركاً من العوام، ومات سنة ٤٦٥هـ. (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٤٤، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٥).

(٥) هو الفقيه المحدث « بالسنن » عن أبي علي الروذباري عن ابن داسة، أُحْضِر إلى نيسابور ليسمع منه، وروى عنه أبو الأسعد بن القشيري وصخر الطابراني وجماعة (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥١٩).

(٦) هو الإمام شيخ الصوفية، ولد سنة ٤٠٧هـ، سمع من أبي عبدالله بن باكويه، وأبي منصور عبدالقاهر البغدادي وغيرهما، وروى عنه : عبدالغافر بن إسماعيل وأبو الخير جامع السقا وغيرهما، مات سنة ٤٧٧هـ. (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٦٥، شذرات الذهب ٧/ ٣٥٥).

وأما تلامذته: فمنهم: أبو طاهر السباك، وإبراهيم بن المطهر الجرجاني[1]، والقاضي أبو نصر أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الخمقري البهوني[2]، ومحمد بن عبدالله بن أحمد المعروف بالقاضي أبو بكر العربي المعافري الأشبيلي المالكي[3] وغيرهم.

ومن أقرانه المشهورين: إلكيا الهراسي[4]، وأحمد بن محمد بن المظفر، الإمام أبو المظفر الخوافي[5].

---

(١) حضر دروس إمام الحرمين، وسافر مع الغزالي في رحلاته ثم رجع إلى جرجان ودرس بها وظهر له القبول، وبنيت له مدرسة، وأثنى عليه الإمام الغزالي، ومات شهيداً قتله أحد الباطنية سنة ٥١٣هـ (السبكي ٧/ ٣٦).

(٢) ولد سنة ٤٦٦هـ وتفقه على الغزالي بطوس، وسمع الحديث من آخرين، وكان إماماً فاضلاً مناظراً ومات سنة ٥٤٤هـ (السبكي ٦/ ٢٠).

(٣) هو العلامة الإمام الحافظ. المولود سنة ٤٦٨هـ، سمع من طراد بن محمد الزينبي وأبي عبدالله النعالي وغيرهما وحدث عنه: عبدالخالق بن أحمد اليوسفي، وأحمد بن خلف الأشبيلي القاضي وغيرهما، كان رئيساً محتشماً وافر الأموال، صاحب مصنفات كثيرة ومنها : « عارضة الأحوذي » و«كوكب الحديث والمسلسلات» وغيرهما، ومات سنة ٥٤٣هـ بفاس. (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٧ ،شذرات الذهب ٤/ ١٤١).

(٤) هو علي بن محمد بن علي شمس الإسلام أبو الحسن الطبرستاني ولد سنة ٤٥٠، تفقه على إمام الحرمين، وكان فصيحاً مليحاً مهيباً نبيلاً، قدم بغداد ودرس بالنظامية، وله مصنفات ومنها : « شفاء المسترشدين » وغيره ومات سنة ٥٠٤هـ (شذرات الذهب ٤/ ٨).

(٥) تفقه على أبي إبراهيم الضرير، وإمام الحرمين وغيرهما، ودرّس وولي القضاء بطوس، وكان ديّناً ورعاً ناسكاً، وسمع الحديث من أبي صالح المؤذن وغيره ومات بطوس سنة ٥٠٠هـ (وفيات الأعيان ١/ ٩٦، السبكي ٦/ ٦٣، شذرات الذهب ٣/ ٤١٠).